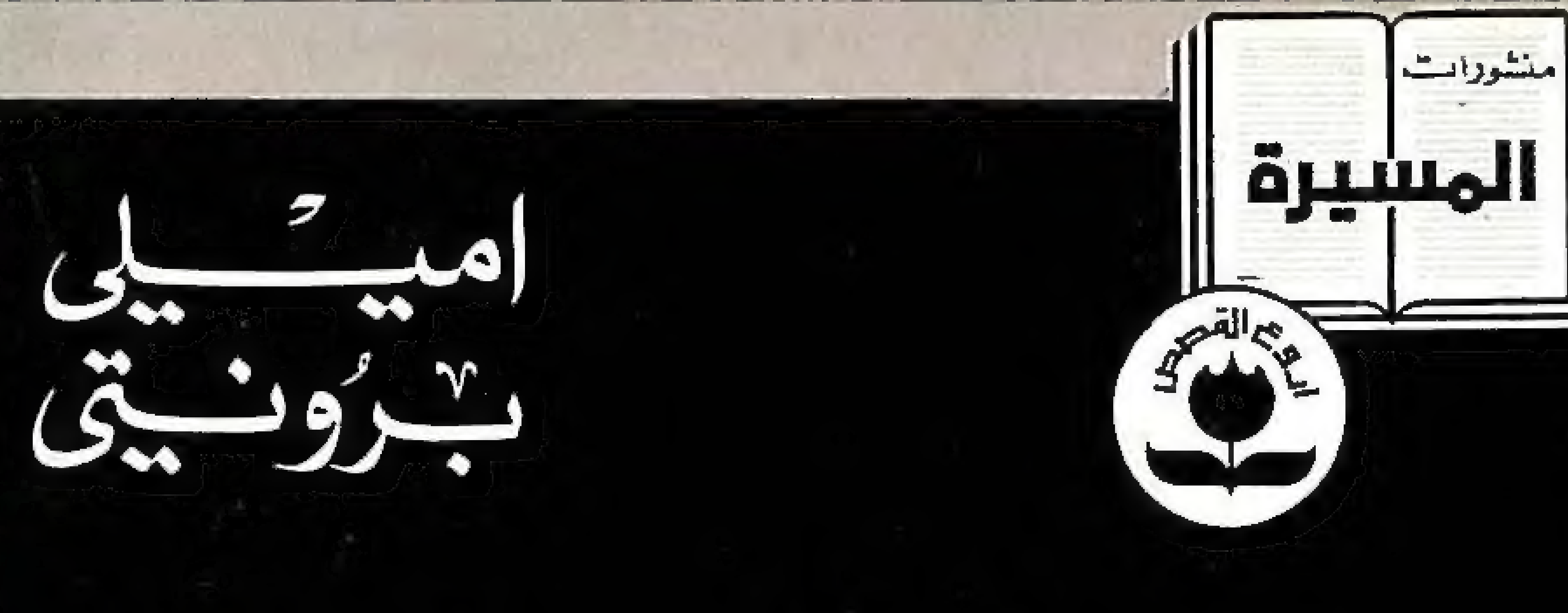


اميلي
برونتي

مرتفعات ويذرنغ

الطبعة الأولى
١٤٠٠ هجرية
١٩٨٠ ميلادية

نقلها إلى العربية قسم الدراسات والترجمة
بدار المسيرة - بيروت، لبنان

هذه السلسلة...

يسرّنا أن نقدّم باعتزاز إلى الناشئة في سائر انحاء الوطن العربي، أول طبعة عربية لمجموعة كتب «سلسلة أروع القصص المصورة» (التي تصدرها «منشورات المسيرة»). إنّ هذه السلسلة الجديدة كل الجدّة، قد أعدّها فنانون ورسّامون من مختلف الجنسيات العالمية، وتولى كتابة نصوصها المبسّطة كتّاب متخصصون، وقام بمراجعتها مستشارون قديرون.

وقد اقترن تطوير هذه السلسلة بحقائق تربوية عديدة. منها أنّ أي شيء - ضمن حدود اللياقة - يطالعه الفتيان والفتيات أو يتوقون إلى مطالعته يكون في حد ذاته أداة تربوية عملية. وهذا ما أدركه رجال التربية منذ أمدٍ طويل، ولطالما طالبوا بمطبوعات تحقق هذه الغاية. ومع أنّ سلاسل الكتب المصورة يُكتب لها النجاح والشهرة عادة، إلاّ أنها لم تُستغلّ بعد على نحوٍ عام في شتى الحقول التربوية. ومن هذا الوعي انبثقت مجموعة «سلسلة أروع القصص المصورة».

ما من شك في أنّ الرسوم تغري الطلاب بالمطالعة الفعلية، كما تعزّز ميولهم لقراءة الكلمات المطبوعة، إذ إنّ الجمع بين الكلمات والصور يعين الناشئة على فهم الموضوعات فهماً أكبر وأشمل. والفهم النابع من المطالعة يثير الرغبة في الاستزادة من المطالعة والمعرفة.

ليست المطالعة غاية في حد ذاتها، فالناشئة يندفعون إلى مطالعة المادة التي تروي ظمأهم للمعرفة ولفهم العالم المحيط بهم. وسلسلتنا هذه تقدّم للناشئة مجموعة مختارة من روائع القصص وكبار الكتّاب والشخصيات المعروفة في الأدب الإنكليزي. ولعلّها تحفزهم فيما بعد لمطالعة الطبعات الأصلية غير المبسّطة عندما تتوافر لهم القدرة على مطالعة مثل هذا النوع

من الكتب. والأهم من ذلك كلّه هو أنّ مطالعة كتب « سلسلة أروع القصص المصورة » سيساعد الطلاب على بلوغ مستوى فكري يزخر بالمعلومات والصور والأسماء والأفكار المفيدة. ولنفترض مثلاً أنّ أحد الفتيان يشاهد برنامجاً تلفزيونياً يصوّر قصة « مرتفعات ويذرنغ ». إنه بالطبع سوف يستمتع بذلك البرنامج التلفزيوني على نحوٍ أفضل وأجدى وأشمل إذا كان قد طالع القصة المذكورة ضمن « سلسلة أروع القصص المصورة ».

إننا على يقين من أنك سوف ترحّب بهذه السلسلة المصورة وتشاركنا في تحمُّسنا لها بعد أن تعكف على مطالعة بعض كتبها.

(الناشر)



المـؤلّفـة

إميلي برونتي

(١٨١٨ - ١٨٤٨)

وُلدت الروائية الإنكليزية إميلي برونتي عام ١٨١٨ في ثورنتون من يوركشاير بإنكلترا. وماتت أمها في وقت لم تتجاوز فيه إميلي الثالثة من عمرها. وعندما حان وقت تعلّمها أرسلها أبوها إلى عدة مدارس داخلية.

لقد امتلأ صدر إميلي بالكراهية الشديدة للأوامر والأنظمة الصعبة في سنّ مبكّرة، ولعلّ ذلك جاء بسبب حياتها في المدارس الداخلية وصرامة الكبار الذين عرفتهم.

كانت إميلي برونتي في طفولتها خجولةً للغاية وشديدة الحساسية. وما كانت تطيق أن يعرف أحد ما يدور في رأسها أو ما تجيش به مشاعرها. ولهذا كانت كتومةً لا تعلن عن أحاسيسها وعواطفها. ثم إنها راحت تكتب الشعر وتخفي كلّ ما تكتبه. وكانت أختها شارلوت (مؤلّفة رواية « جين آير ») هي التي اكتشفت تلك الأشعار بعدما بلغت إميلي السابعة والعشرين.

وبتشجيع من شارلوت أقدمت إميلي على كتابة روايتها الوحيدة « مرتفعات ويذرنغ ». وفيها أطلقت العنان لعواطفها التي حاولت عدم البوح بها من قبل. وقد نشرت القصة باسم مستعار هو « آليس بل »، إذ كانت لا تزال خجولة.

إن تلك الرواية الغريبة بما فيها من حُبّ جامح وغيرة متأججة رفعت ذكر إميلي في الأدب الإنكليزي. ولكنها ماتت قبل أن تنعم طويلاً بهذا النجاح الأخّاذ. إذ انتابها المرض يوم وفاة شقيقها الوحيد. ولم تمض سنة حتى طواها الثرى عام ١٨٤٨.

اميلي
برونتي

مرتفعات ويذرنغ



شخصيات القصة









يُمكنُ للإنسان أن يتصور قوة الريح الآتية من الشمال والتي تهبُّ على المرتفعات لدى مشاهدته تمايل أشجار التّنوب الصغيرة...







كنتُ أرغب في أن أطلب سرداً قصيراً عن تاريخ المنزل ولكن المالك طلبَ مني الدخول في الحال.

كانت غرفة الجلوس التي دخلناها مليئة بالكلاب.. « وهيث كليف » الذي كان قد غادر الغرفة ليلحق بجوزيف إلى حجرة القبو. لم يستطع منع الكلاب من مُهاجمتي.



سارعت امرأة لإنقاذي من المطبخ.. حمَلَتْ مقلاة في يدها.



يا للشيطان! ما المسألة؟

يا للشيطان حقاً! كأنما تركتَ غريباً مع قطيعٍ من النمور!



تَعالَ - تَعالَ. خذ قليلاً من الشراب... الضيوف قلائل لدرجة أنني لا أعرف كيف استقبلهم.. على شرفك يا سيدي!

حسناً أيها السيد... في صحتك أيضاً!

شعرنا كلانا بانتعاش وبدأنا حديثاً قصيراً.. بعد بُرهة أعلمته بأنني قد أزوره ثانية في اليوم التالي.. لاحظتُ عدم انشراحه وقررت الذهاب على أي حال.

كان اليوم التالي - بعد الظهر - بارداً يكتنفه الضباب.. بعد مسيرة أربعة أميال وصلت بوابة منزل هيث كليف حيث بدأ الثلج يتساقط.



على قمة تلك التلّة كانت الريح جليديّة.. تسلقت البوابة وقفزت فوقها راكضاً نحو المدخل حيث طرقته بعنف.







.. واشتد تساقط الثلج.. عندئذ جاء شاب من الحظيرة.



بعد ان اجتزنا بيت الغسيل وساحة مُبلّطة وصلنا الى الغرفة الواسعة البهيجة حيث كنت في اليوم السابق.. سُررت لرؤيتي السيدة.

طقس جاف! لقد تحمّلتُ الكثير لأستطيع أن أجعل أحداً يسمع صرير الباب.. سيدة هيث كليف.

اجلس - سيكون هنا في الحال.

وضع الشاب سترة بالية على كتفيه ووقف أمام النار يتدفأ.. أما السيدة الشابة فقد حملقت بي ببرودة.. لم أعرف ماذا أقول.



بعد مضي خمس دقائق جاء هيث كليف ووقف أمام النار.





يمكنه أن يمكث حتى الصباح في منزلي.. هل تستطيع تأمين أحد الأشخاص؟

لا.. لا أستطيع

فجأة استدار الشاب وسدّد نظره نحو السيدة



كان صوت هيث كليف غاضباً جداً.. حتى أنه أرعبني، ويبدو أنه يملك مزاجاً سيئاً جداً.







تطلّعت نحو الرجل الشاب كي يصلح لي خطإي.

ارتكبت خطأ.. لم تكن هذه زوجة هيث كليف.. ربما كانت زوجة المهرج الجالس عن جانبي ويشرب الشاي من الصحن ويأكل بيدين وسختين.. هو دون شك هيث كليف الصغير .



لا أحد منا يمتلك هذه السيدة الجميلة.. إنها زوجة ابني.. وقد مات زوجها.

وهذا الشاب هو؟

ليس ابني، بالتأكيد

اسمي هيرتون ايرن شو.. الافضل لك أن تحترمه!

هل أظهرت عدم الاحترام!



انتهت وجبة الأكل.. ذهبت للنافذة حيث حلّ الظلام باكراً...

كان الجو والتلال غارقين في دوامة ريح ثلجية.. لن أستطيع معرفة طريق العودة إلى منزلي دون دليل.



بإمكاني النوم على كرسي في هذه الغرفة.

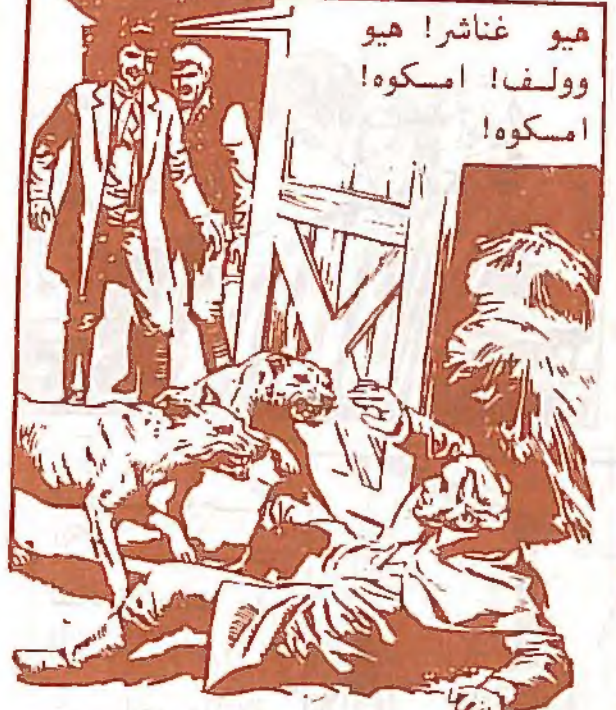
لا.. لا.. لا أعطي الحرية لغريب في هذا المكان بينما أنا خارج للحراسة!

لم أعد أحتمل أكثر من ذلك، فاندفعت ماراً بمحاذاة هيث كليف وهرعت إلى الساحة.. كانت الظلمة شديدة حتى أنني لم أقدر على تبيّن البوابة...

جلس جوزيف على مقربة يحلب البقرات على ضوء قنديل.. أخذت القنديل منه.



عندما فتحت أقرب بوابة، هجم عليَّ كلبان ضخمان ورمياني أرضاً.



بالرغم من أن الكلبين لم يؤذياني. لكنهما لم يدعاني أقف على رجليّ. بينما أخذ هيث كليف يهزأ مني. أخذتُ أرتجف غضباً حتى أخذ أنفي ينزف دماً. في هذا الوقت ظهرت أمامنا مدبّرة المنزل « زيلا ».



تعال أيها الصي. سأشفيك من نزيف أنفك.

ورشقت رأسي بطاس من ماء مثلج.

قادتني نحو المطبخ.. لحق بنا هيث كليف.. كنت مريضاً، مشدوهاً وفاقد الوعي تقريباً..



عندما شعرت بتحسن قادتني « زيلا » إلى غرفة نوم في الطابق العلوي.



كان الفراش في خزانة قديمة.. ورفّ النافذة يستعمل كطاولة..



التقطتُ كتاباً، حملت الورقة البيضاء الأولى اسم «كاترين ايرن شو» وتاريخها يعود إلى خمس وعشرين سنة مضت

اه! لقد استعملت كل مكان أبيض لكتابة مذكراتها.

يومُ أحد مُرعب! كم كنت أتمنى أن يعود أبي... إن هيندلي يُعامل هيث كليف معاملة سيئة للغاية.



وتابعتُ القراءة...

لم أكن أظنُ حتى في الحُلم أن يدفعني وضيع هيندلي إلى البكاء... مسكين هو "هيثكليف"! هيندلي يدعوه بالمتشرد ولا يدعه يجلس معنا للحديث أو للطعام...

... هو يقول أنه يجب ألاّ نلعب أنا وهيثكليف معاً، ويهدده بالطرد من المنزل إذا خالفنا أوامره. وكان يلوم والدنا بسبب معاملته الطيبة جداً لهيثكليف...

استلقيت على السرير ناعساً.

ووسط حلمي عرفت أين أنا.. سَمعتُ الريح والثلج المتساقط وضربات الغصن المتجلد على النافذة.. يجب علي أن أوقف هذا الصوت الطارق!



خلال حلمي، نهضتُ وحاولت فتح النافذة.. لم ينفتح المقبض



حطّمتُ بمقبض يدي الزجاج ومددت ذراعي لأمسك بالغصن.

عندئذ شاهدت وجه طفلة يطلّ..

كاترين لينتون. لقد عدت إلى المنزل.. لقد ضللت طريقي عبر المستنقع!



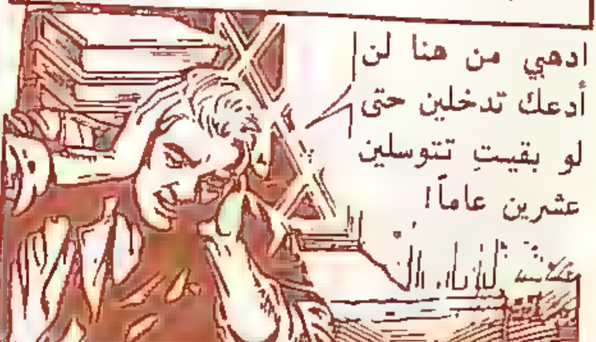
بدلاً من ذلك أطبقت أصابعي على يد صغيرة يلفها صقيع الجليد! تملكني الرعب!



وسط رعب كبير سحبت معصم الفتاة عبر الزجاج المحطم فسال دمها، وبقيت متمسكة بي وهي تصرخ..



تراخت الأصابع.. سحبتُ يدي من خلال الفتحة المحطمة وبسرعة وضعت الكتب على شكل كومة سدّت الثقب، ثم سددتُ أذنيّ..



لكن عندما أصغيتُ ثانية - سمعت الصرخة إياها..





عندئذ نهضت فوجدت بأنني كنت أصرخ عالياً. وقع أقدام اقترب من باب غرفتي.. ومن الخارج سأل هيث كليف هامساً «هل هناك أحد؟»

فتحت الباب.. بداوجه هيث كليف أبيض كلون الحائط.. سقطت الشمعة التي كان يمسك بها من يده.

إنه ضيفك فقط يا سيدي.. صرخت وأنا غارق في نوم حالم موحش.

أنا آسف.. لقد أزعجتك.

من أرشدك إلى هذه الغرفة؟ سأطردهم من المنزل!





ولما رأيته يتحرك هكذا بعمق، سردت عليه حلمي. غرق في فراشه وأخفى وجههُ...

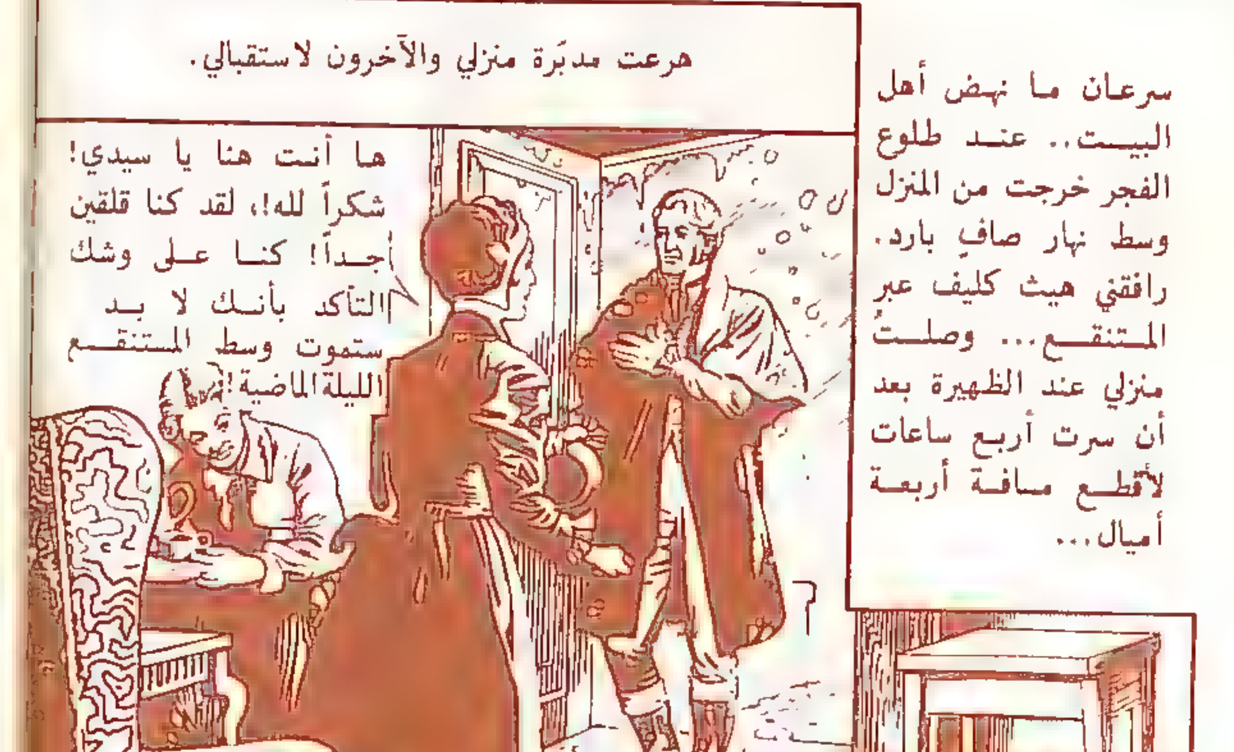
حاولت بأن لا أظهر له بأني لاحظت ذلك.



غادرتُ الغرفة ثُمَّ توقفت لعدم معرفتي بالطريق أمامي... وشاهدت عندئذ صاحب المنزل يفتح النافذة والدموع تنفجر من عينيه..



سرعان ما نهض أهل البيت.. عند طلوع الفجر خرجت من المنزل وسط نهار صافٍ بارد. رافقني هيث كليف عبر المستنقع... وصلتُ منزلي عند الظهيرة بعد أن سرت أربع ساعات لأقطع مسافة أربعة أميال...



بعد مضي عدّة ساعات، كنت أشعر بالتعب وعدم الراحة عندما أتت مدبّرة المنزل السيدة دين تحمل العشاء...



وهكذا اقتربت نللي دين بكرسيها مني وبدأت قصتها..

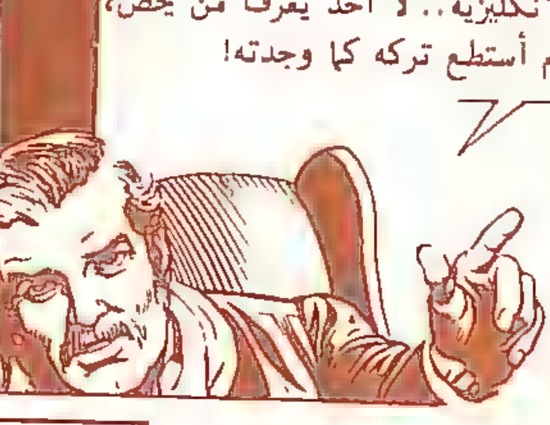
قبل أن آتيَ لأعيش هنا، كنتُ في غالب الأحيان في مرتفعات وذرنغ. كانت أمي تعمل ممرضة لـ « هيندلي إيرن شو » والد هيرتون، أما أنا فكنتُ ألعب مع الأطفال.

كنتُ أكلّف بنقل الرسائل، وأساعد بتجميع القش، وأمكثُ قرب المزرعة مستعدة لأية مهمة أكلّف بها..

ذات صيف قام السيد برحلة إلى ليفربول، سار ستين ميلاً ذهاباً ومثلها إياباً، واعداً بجلب هدايا للأطفال. هيندلي وكاتي... كانا ينتظران عودته مساء اليوم الثالث...









اعطيناه اسم هيث كليف،... اسماً كان لابن مات وهو طفل... بدأ صبياً هادئاً... وأصبح مع كاتي صديقين حميمين وأصبح المفضل لدى السيد.. لكن هيندلي كان يكرهه لأنه شعر بأنه سرق حب والده له وأصبح يسيء معاملته دائماً.

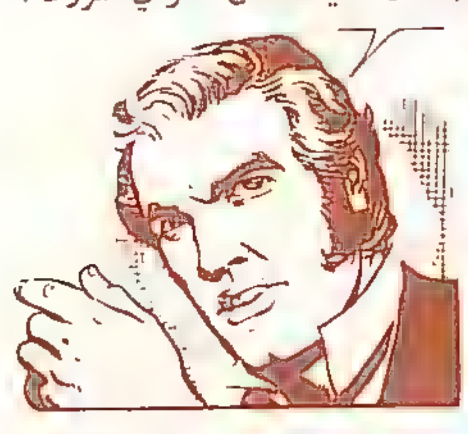
بعد موت السيدة إيرن شو بسنتين... هنا راعي الكنيسة يتحدث مع السيد إيرن شو...

أستطيع أن أعلّم الأولاد الصغار، ولكن أعتقد بأنك يجب أن ترسل هيندلي إلى الكلية.

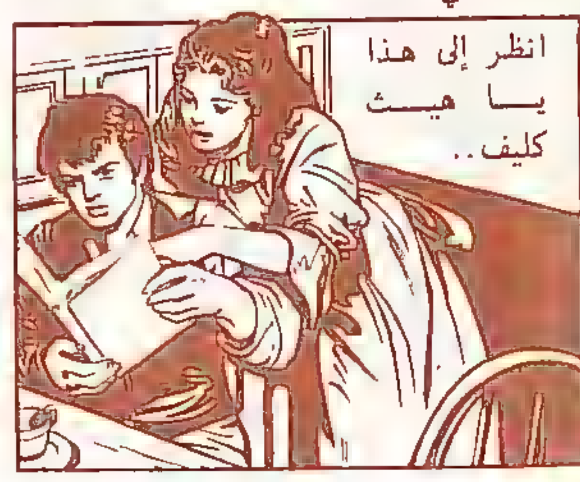
سأقوم بذلك.. ولكنى أخشى بأن هيندلي لا يساوي شيئاً، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً أينما ذهب...







في البداية... أخذ هيث كليف كل هذا بروح طيبة... وعلمته كاتي ما كانت قد تعلمته هي...








انتابني القلق لأنهما كليهما سوف ينشآن على قساوة الطبيعة... هيندلي لم يكن ليهتم بتصرفاتهما ما دامت تعجبه... في بعض الأحيان كان يأمر بضرب « هيث كليف » وبأن تمنع وجبة أكل محددة عن كاترين... لكنهما كانا يهزآن منه...

كانت السماء تُمطر... وشعرت بقلق كبير ولم أستطع النوم،... أصغيتُ من نافذتي... سأدعهما يدخلان خفية لو أنهما عادا...




أين الآنسة كاترين؟ هل هي بخير؟

في « ثراشكروس غرانج » وكنتُ أرغب بالبقاء هناك. لكن أخلاقهم لم تدفع بهم ليطلبوا مني ذلك!

بينما كان يُغيّر ثيابه المبتلّة أخذ يُحدثني كيف أنه وكاترين اختبآ خارج غرفة الجلوس في «الغرانج» كي يراقبا ايزابيلا وادغار لينتون..

قال إنها كانت غرفة جميلة ذات سقف أبيض وسجاجيد حمراء. كان إدغار وابزابيلا يتعاركان على من يحق له اللعب مع الكلب الصغير.

كانا يقهقهان عالياً، وضجتهما كانت تخيف عائلة اللينتونز...



وبدأ بالركض.. وفجأة وقعت كاتي..



أطلقا عليها كلب « بول دوغ »... أمسكَ الكلب بكاحل كاتي...



حمَلَ الرجل كاتي إلى الداخل... تبعها هيث كليف منذراً بالاّ يؤذيها أحد.. تجمع حولها الجميع وأخذوا ينعتونها باللصوصيّة...

أمرٌ مرعب!

ولكن يا ماما، إنها الآنسة «إيرن شو»!

أطلق لسانك، أيها اللص الصغير.

إنه مجرّد صبي، لكنه خطر!

الآنسة «إيرن شو» تجوب الضاحية مع غجري - هراء! ولكن هذه هي الحقيقة!

أو هو... ربما هو ذلك الصبي الغريب الذي التقطه جارنا المرحوم في ليفربول!

كم هو مهملٌ أخوها! كيف لها أن تجد رفيق صبا كهذا؟

صبيٌ شرير! وأن يسمع اولادي لغتهُ أمر يهزّ مشاعري.

وأُعطيَ هيث كليف أمراً بمغادرة المكان.. عندما رفض المغادرة بدون كاتي، جرّه الخادم إلى الحديقة، وناوله مصباحاً وأقفل الباب خلفه...





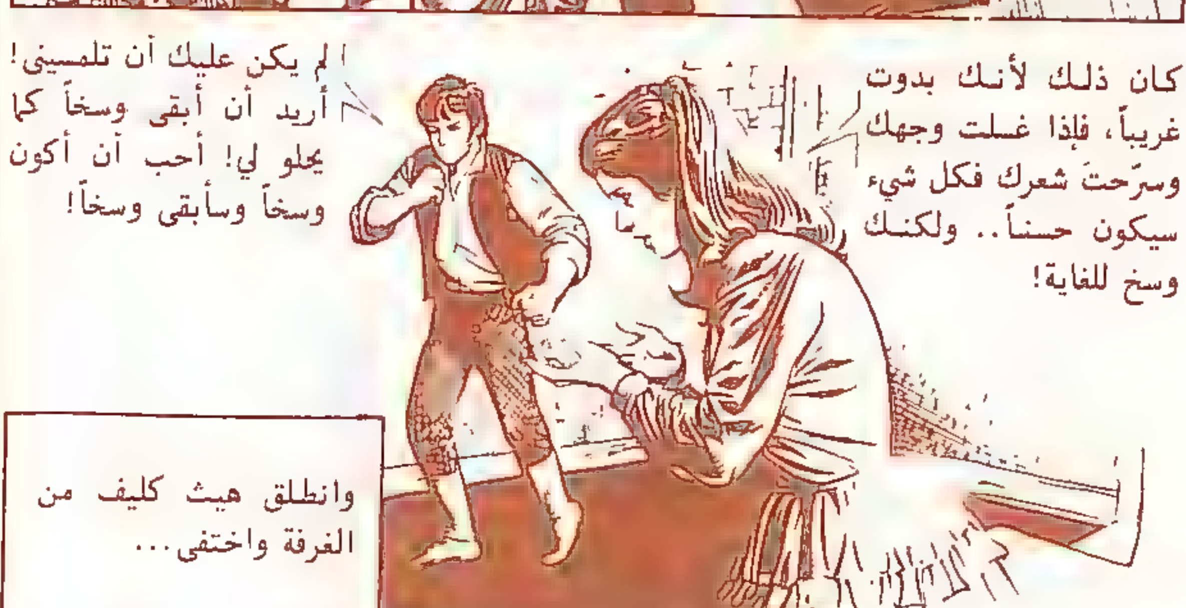
مكثت كاتي في« ثراشكروس غرانج » مدة خمسة أسابيع.. كان كاحلها قد شفي في هذه المدّة، ونفسيتها تحسنت بصورة ملموسة... كانت ليلة عيد الميلاد حين عادت...



أما «هيث كليف» الذي لم يكن مهتماً بما يحدث قبل زيارة كاترين إلى «غرانج» فقد أصبح الآن أكثر اهتماماً وبدا بشعره غير المسرّح وثيابه الرثة ويديه ووجهه الوسخ مختلفاً جداً عن كاترين الجديدة... رأى أمامه صبية ناعمة جميلة بدلاً من تلك الشرسة الطائشة التي كان يتوقع رؤيتها...





في وقت لاحق وجدته في الإسطبل.



لكن في صبيحة اليوم التالي – يوم عيد الميلاد بينما كان الجميع في الكنيسة أتى إليّ.





ألحت على هيث كليف بأن يدخل ويُظهر سلوكه الجيد... ولكن عند دخوله التقى هندلي على الباب...



كان وقعُ ما حدَثَ - من قبل شخص يكرهه مسبقاً - كبيراً جداً على «هيث كليف»... إلتقطَ أقرب شيء منه. كان هذا الشيء طاسة من صلصة التفاح الحار - وقذف بها في وجه «إدغار».



ابتعد «هندلي» بهيث كليف ليضربه، وأقفل عليه باب العليّة... عاد الهدوء والسلام إلى الحفلة.. بعد وقت لاحق تسللت «كاتي» لتجلس مع «هيث كليف»، وبعدئذ أحضرته إلى المطبخ ليأكل.. لكنه لم يأكل إلا القليل.

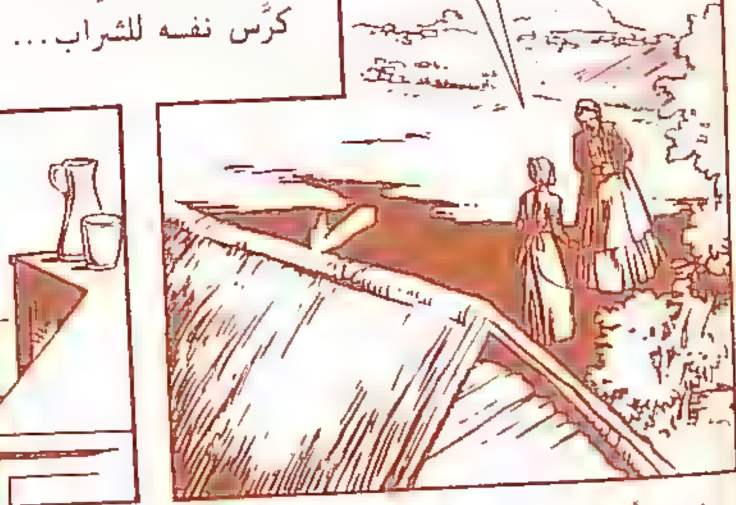
إني أخطط كيف يمكنني أن أتدبر الأمر مع هندلي.. لا يهمني كم يطول بي الانتظار للوصول إلى ذلك! أرجو ألاّ يموت أولاً..

بماذا تفكر؟

ذات يوم من شهر حزيران (يوليو) ١٧٧٨، وُلدَ طفلٌ - هو آخر عائلة إيرن شو القديمة - لهندلي وفرانسز.







هذا إذن ما قد حصل... الطفل هيرتون تُرِكَ في عهدتي.. وهندلي الذي كان يكره كل إنسان آخر كرّس نفسه للشراب...

لا شيء ما عدا الشراب والشتم! لن أبقى في بيت كهذا يا نللي!

كنت أنا وجوزيف الخادمين الوحيدين اللذين سيبقيان.. توقف راعي الكنيسة عن زيارته.. ولم يأتِ أحدٌ إلينا فيما عدا «إدغار لينتون» الذي حضرَ ليرى الآنسة «كاتي».

مارستُ عادة تفريغ بندقية السيد عندما أراه عائداً إلى المنزل وهو ثمِلٌ..

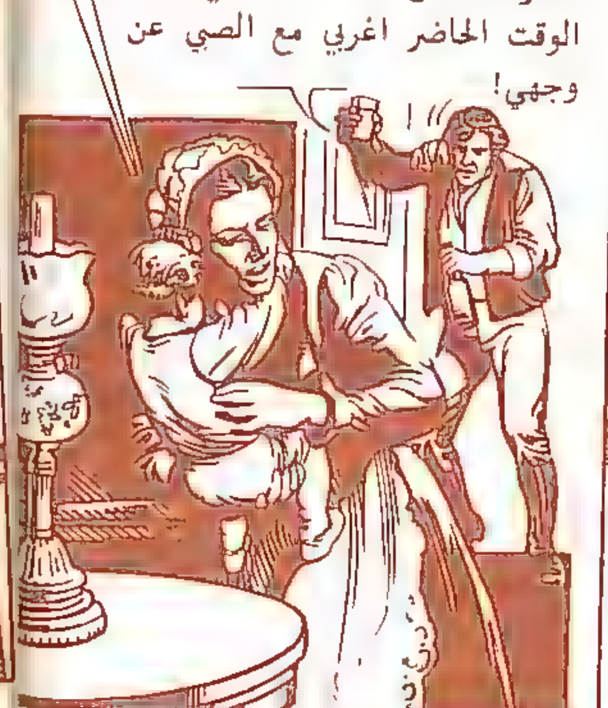


بعد ظهر أحد الأيام فاجأني وأنا أقوم بذلك العمل، أمسك بالصبي وأخافه حتى الموت.



أما « هيرتون » الذي كان يخاف من أبيه.. فكنت أخفيه في الخزانة..







دخلتُ إلى المطبخ وجلست أهلل للصبي كي ينام. دخل هيث كليف وبدأ يمشي نحو مخزن الخنطة لكنه لم يصل إلا لقرب مقعدٍ عالٍ حيث جلسَ بكل هدوء.. طبعاً اعتقدت أنه خرج..





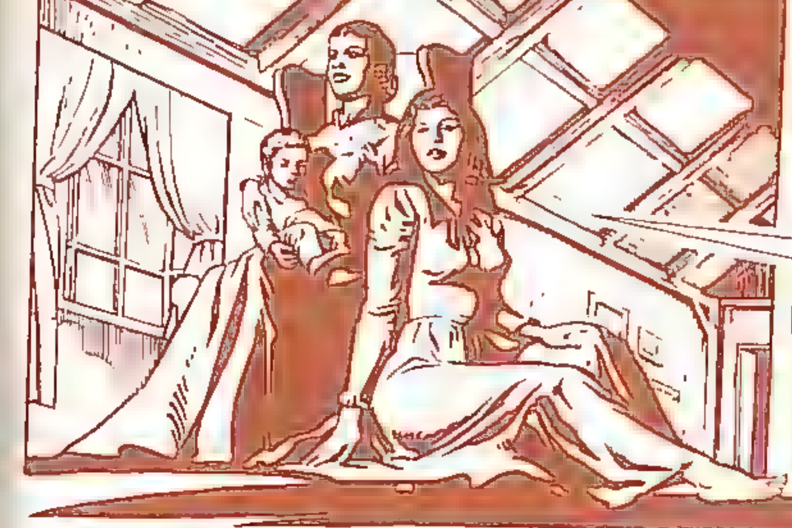


لكن شقيقك سيرحّب بذلك وعائلة اللينتون لن تعارض سوف تنقذين نفسك من منزل كهذا إلى منزل سعيد ثري.





لو كان هندلي لم يُذل هيث كليف لما فكرّت بالزواج من إدغار.. ولكنني لا أستطيع الزواج من هيث كليف الآن. لا يجب أن يعرف كم أنا أحبه.. ليس لأنه جميل وأنيق بل لأنه يعتبر بالنسبة إلي أعزّ من نفسي.



خلال التفاتة مني وأنا جالسة خلف كاتي شاهدت هيث كليف ينهض من مقعده ويغادر الغرفة. كان قد سمع أن كاتي لا تستطيع الزواج منه ولكنه لم يسمع بقية ما قالته..

أيا تكن المادة التي جُبلتْ منها أرواحنا. فلا شك أن روحي وروح هيث كليف من طينة واحدة. أما إدغار فمختلفٌ عنا كاختلاف الجليد عن النار!

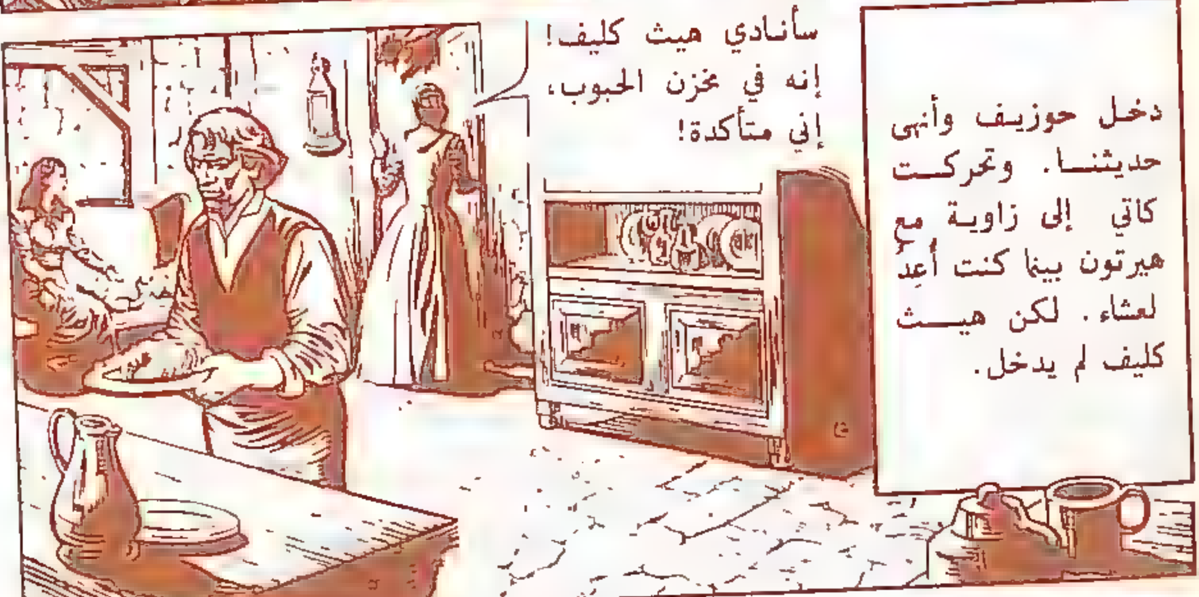
هش.. آنسة كاتي! البعض سيسمعك الآن..



ليس هذا ما أعني بأنني سأفعله فإذا أنا وهيث كليف تزوجنا فنصبح متسولين.. لكن إذا تزوجت إدغار فباستطاعتي مساعدة هيث كليف وإبعاده عن سلطة أخي.



نللي.. أنا هيث كليف بذاته! إنه دائماً عبر مخيلتي.. لا تتحدثي عن افتراقنا مرة أخرى. إنه قطعة مني!



ذهبتُ وناديت ولكنني لم أحظَ بجواب.. همست في أذن كاتي بأنه كان قد سمع قسماً كبيراً مما قالته. أخبرتها كيف أنني رأيته يغادر المطبخ.

نهضتْ مبتعدةً بخوفٍ عظيم.

جوزيف، اذهب واعثر على هيث كليف! أريد أن أتحدث إليـه! ما الذي قلته يا نللي؟ لقد نسيت.

يُمكن أن يكون مختفيا في عليّة القش. سأعثر عليه بنفسي.

ولكن لم يُعثرْ عليه.. في وقت لاحق ضربت المنزل عاصفة رعدية، لكن كاتي لم تلجْ إلى الداخل.



أخيراً دخلَتْ واستلقت على المقعد وهي مبتلة تكاد تعتصر.



ذَهَبتُ إلى النوم أنـا نفسي.. عند الصباح كانت كاتي ما زالت تجلس قرب المدفأة.



كانت العناية بها صعبة جداً ولكنها صمدت.. السيدة لينتون العجوز قامت بعدة زيارات لنا.

الآن وبعد أن تحسنت صحتـكِ يـا كاترين، عليـكِ أن تـأتي إلى «ثراشكروس غرانج» كي تستعيدي قوّتكِ!

هـذا لطـفٌ منـك يـا سيدتي.

لكن السيدة الطيبة أسفت لهذا العمل في وقت لاحق - أصيبت هي نفسها مع زوجها بالحمّى وماتا الواحد بعد الآخر بأيام قلائل..

حَضَرَ الطبيب كينيث وأخبرنا بأنها مريضة بدرجة خطيرة..

عندها حمّى مرتفعة.. انتبهوا جيداً لإنها قد ترمي بنفسها إلى الطابق الأسفل أو من النافذة.

كان هيث كليف قد ذهب دون عودة.. بعد مضي ثلاث سنوات قادَ ادغار لينتون الذي كان يعتبر نفسه أسعد رجل في العالم، قاد كاتي الى الكنيسة القرية الصغيرة.



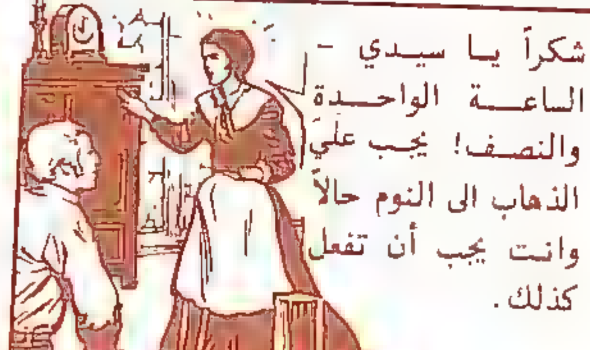
بالقدر الذي كنت أكره فيه ترك هيرتون الصغير كان عليّ أن أنتقل إلى «الفرانج» مع الآنسة كاترين التي أصبحت السيدة لينتون.

عليك أن تأتي معي يا نللي! يقول إدغار بأنه سيدفع لك أجراً مدهشاً!

لا أريدك هنا! لا أريد امرأة في هذا المنزل بعد الآن لن يكون هنا مدبّرة. سأدعو راعي الكنيسة لتسلّم زمام أمر هيرتون.

إلى اللقاء يا حلي! لا تنس نللي دين.

عند هذه اللحظة من قصتها استرعت الساعة الموجودة على الخزانة انتباه السيدة دين.



بعد مرور أربعة أسابيع وكنتيجة لخروجي المتتابع وقعت مريضاً.. عندها حضر السيد هيث كليف للزيارة.. ذكرني هذا بالقصة التي سمعت..

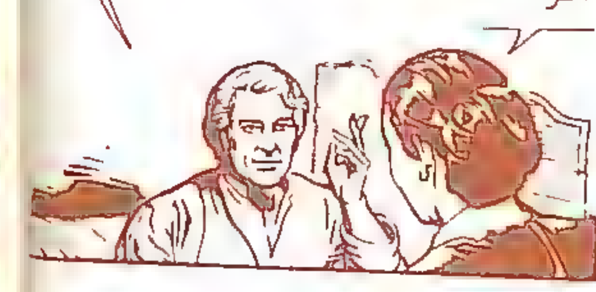
هل تشعر بتحسُّن هذا الصباح يا سيدي؟

أحسن بكثير! أخرجي من جيبك عمل الحياكة وأكملي قصة هيث كليف!



هل أنهى تعليمه وعاد كرجل مهذّب؟ أو ذهب إلى امريكا؟ أم أصبح قاطع طرق؟

لم أعرف أبداً كيف حصل على ماله أو كيف تعلّم.. لكن ساطلعُك على ما أعرف.



سارَ كلُّ شيء على ما يُرام لمدة ستة أشهر بعد زواج كاتي. بعدئذ وخلال مساء أحد أيام شهر أيلول (سبتمبر) وبينما كنت عائدة من الحديقة...



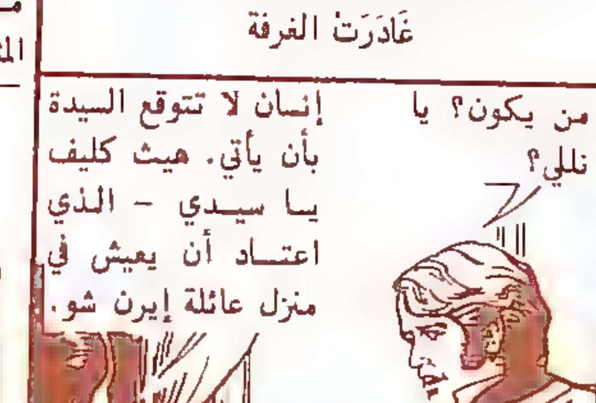




وقفتُ عند باب البهو غيرُ عازمةٍ على إزعاجها بما لدي من أخبار، وبعدئذ دَخلتُ..



غَادَرَتْ الغرفة



ماذا؟ ذلك المشرّد؟

ستأسف.. يا سيدي بسماعها إياك تناديه بذلك. لقد تحطمَّ قلبها عندما تركها.

خلال بضع ثوانٍ هَرَعَتْ كاتي بانفعال شديد إلى الغرفة ومعها هيث كليف.. قادته نحو لينتون وأمسكت بأيديهما وشبكتهما معاً.





وعلى ضوء وهج النار ونور الشمعة تكشّف التغيير الذي حدث بهيث كليف. لقد أصبح رجلاً مكتملاً طويلاً.. ظهر على وجهه كبرُ سنِّه.. ولم يَعُدْ ذلك الصبي الريفي الشرس.

كانت دهشة سيدي عظيمة كدهشتي.. ولبرهة لم يعرف ماذا يقول.. وأخيراً تكلّم..

اجلس يا سيدي.. السيدة لينتون ترغبُ مني في أن أرحب بك.. وإني مسرور برؤيتها سعيدة.



قُدِّمَ الشاي.. ولكن هيث كليف وكاترين شغلا نفسيهما ببعضهما البعض عن تناول الأكل والشراب.

يا كاترين، ما دمنا سنحتسي الشاي البارد تعالي إلى الطاولة معنا.. السيد هيث كليف سيقوم بمشوار طويل إلى مكان نومه هذه الليلة.. ومع كل ذلك فأنا عطشان.

كان لي كلمة أخرى مع هيث كليف لدى مغادرته المنزل.

هل تذهب إلى القرية هذه الليلة يا سيدي؟

لا.. إلى مرتفعات وذرنغ.. دعاني إيرن شو عندما زرته هذا الصباح.



هذه الحقيقة الغريبة كانت قد شرحتها لي السيدة لينتون التي أتت إلى غرفتي لتتحدث خلال منتصف الليل.

يجب أن تنهضي وتبقي بصحبتي! إدغار يشعر بالنعاس.

شاركهم لعبهم، وخسر هيندلي بعض المال أمامه. لذلك قدّم إليه هيث كليف مبلغاً كبيراً من المال لحمله على العيش هناك، وتقبّل هيندلي ذلك!



كان هيث كليف يذهب غالباً إلى « ثراشكروس غرانج » وسرعان ما أصبح زائراً نظامياً. ولكن ايزابيلا لينتون وليس هيث كليف كانت من آثار المشكلة الجديدة.

أضحت غاضبة من كاترين وقالت إنها تشعر بزكام.

يجب أن تلازمي الفراش وأنا سأدعو الطبيب.

أنا لَستُ مريضة! أنا غير سعيدة لأنك تبعدينني كلما يكون هيث كليف هنا! إنك لا تتزوجينه ومع ذلك تريدين منه بأن يَحبكِ وأن لا يحب واحدة أخرى.

أنتِ تحبين هيث كليف؟ لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً؟

أحبُّه أكثر من حبّك لإدغار - ويمكن أن يكون يُحبني إذا تركتِ له المجال!



غادرت كاترين الغرفة وهي منفعلة تماماً... واتجهت ايزابيلا نحوي.



في اليوم التالي، عندما جاء هيث كليف زائراً، حاولت ايزابيلا بأن تترك الغرفة - ولكن كاترين لم تدعها تفعل.





أخيراً انسحبت ايزابيلا وهرعت خارجة من الغرفة.



إنها وريثة أخيها، أَلَيْس كذلك؟

عددٌ كبيرٌ من أولادي سيحصلون على ماله قبل أن تستطيع هي فعل شيء، لتغفر ليَ السماء!

عندما عاد هيث كليف للمرة الثانية كانت الآنسة إيزابيلا تطعمُ العصافير خارج المنزل.. شاهدته أنا من خلال نافذة المطبخ.

بعد لحة استطلاع للمنزل، وضع يده على ذراعها وقبّلها.

إنك مخادع! إنك رجل غير مخلص!

في هذه الفترة كانت كاتي قد حضرت وأصبحت خلفي.



هربت إيزابيلا.. ودخل هيث كليف إلى المطبخ.

لقد قلت بأنه يجب عليك الابتعاد عن إيزابيلا! لماذا فعلْتَ هذا.

هل هذا يعنيك؟ لي الحق بتقبيلها إذا هي أرادت!

جرى نقاشٌ حاد بينهما.. وخرجت لأفتش عن السيد لينتون.





فجأةً اندفع سيدي الى الأمام وضرب هيث كليف على حلقه.



شعر هيث كليف بالاختناق، وتركه لينتون ومشى.



وأخيراً غادر هيث كليف المنزل نهائياً، وكاترين طلبت مني أن أصعد إلى غرفة الجلوس.



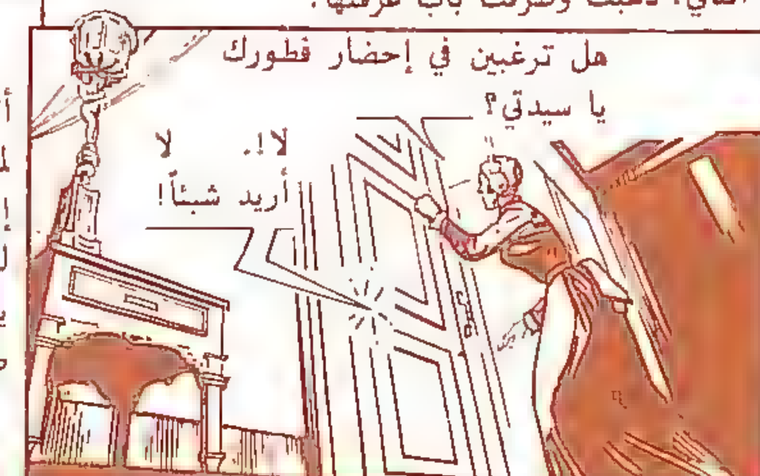
لحقَ بنا السيد إلى البهو وتكلم. لم يكن غاضباً بل كان حزيناً.

أريدُ أن أحظى بجواب! هل ستتخلين عن هيث كليف؟ أم ستتخلين عني؟ لا يمكن الاحتفاظ بكلينا معاً.

لا تستنطقني! دعني لوحدي! بالكاد أستطيع الوقوف! إدغار، اتركني!

وهرعت خارجة من الغرفة. لحقت بها ولكنها أوصدت الباب في وجهي.

عندما لم تظهر كاترين لتناول طعام الفطور صباح اليوم التالي، ذهبت وطرقت باب غرفتها.



أقفلت كاترين باب غرفتها عليها لمدة ثلاثة أيام، واستسلمت إيزابيلا لحزن عميق، وأقفل السيد لينتون على نفسه مع كتبه التي لم يفتحها أبداً. وعند اليوم الثالث طلبت كاترين الطعام والماء.

أخذت لها الشاي والخبز المحمّص فأكلت بشهية، ثم أغرقت نفسها بين الوسائد.





أصبحت تهذي.. خلال لحظة كان تفكيرها يجول في الماضي، وفي لحظة أخرى تثور غاضبة وتبدأ بالصراخ.. أصبحت خائفة بأن أتركها على هذا الحال.

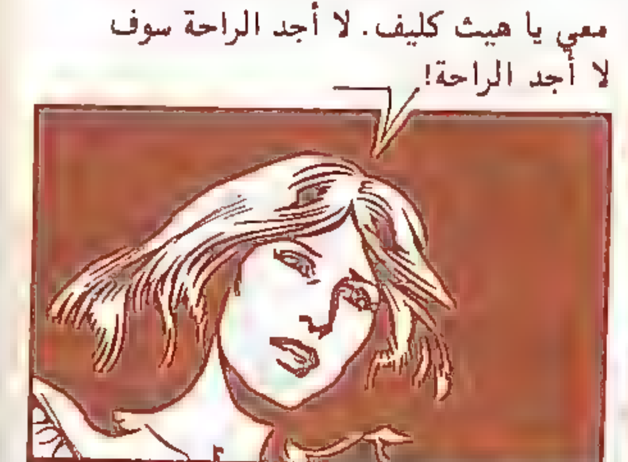
سوف لن تدعيني أعود للحياة مرة أخرى.. هذا ما تعنينه.. لا بأس.. سأفتحها بنفسي.

قبل أن أتمكن من إيقافها. عبرتْ الغرفة وفتحت النافذة.

كانت الريح كالسيف.. الليل كان دامساً.. ولكنها قالت إنها باستطاعتها رؤية أنوار مرتفعات وذرنغ.







بينما كنت أحاول أن ألفها بشيء ما، دَخلَ السيد...



لقد صُدِمَ بالصورة التي بدت عليها.. أخذها بين ذراعيه.



هرعتُ لأستدعي الطبيب بنفسي وحَضَرَ في الحال، بالرغم أن الساعة كانت الثانية صباحاً.



قضينا - السيد لينتون وأنا - الليل كلّه بجانب سريرها. لكن صباح اليوم التالي أتى معه بمشاكل جديدة.



الآنسة إيزابيلا - لقد ذهبت! هرَب هيث كليف معها!

ليسَ ذلك صحيحاً! لا يمكن حدوث ذلك! نللي.. اذهبي واستطلعي!

هَرَعتُ وفتشتُ غرفة إيزابيلا، ولكنها كانت قد ذهبت.. قرأ السيد ذلك في عيني عندما عُدْتُ..

ألاَ نحاول الإمساك بها وإعادتها إلينا؟

لا.. فإنه يحقُّ لها بأن تذهب إذا كانت راغبة في ذلك. ومنذ الآن هي فقط أختي بالاسم. أنا لا أنكرها ولكنها أنكرتني..

كما عَرفتُ في وقتٍ لاحق من إيزابيلا، أنها قد تحققت من الخطأ الذي قامت به بعد بضعة أيام.. لقد تزوج هيث كليف منها لسببين: الأول: جعل إدغار يُقاسي ما حصل. والثاني رغبته في وراثة مال عائلة لينتون.

في هذا الوقت كان إدغار يعتني بكاترين عناية جيدة.. ويراقب حالتها ليل نهار.



في مطلع شهر آذار (مارس) تركت غرفتها للمرة الأولى.





وبسرعة بعد هذا.. حضَر هيث كليف ليراني...

أرغبُ في رؤية كاترين ويجب أن أفعل ذلك! سأشق طريقي إذا وجب الأمر.. وإني متأكد بأن زيارتي لها بمفردها سوف تخفف من تأثرها!

ناقشت الأمر ورفضته خمسين مرة. وأخيراً وافقت بأن أعلمه متى سيغادر السيد لينتون المنزل في المرة القادمة. ومتى سيكون الخدم الآخرون بعيدين عن المنزل.

بعد مضي أربعة أيام.. وكان يوم أحد.. كانت العائلة والخدم الآخرون قد ذهبوا إلى الكنيسة لكني تركت الأبواب مفتوحة وأنا على علم بمن سيأتي..



لا يا كاتي - لقد قتلت نفسك! لماذا تكرهينني؟ لماذا وقفت ضد قلبك؟ لقد حطمّت قلبك وبهذا حطمت قلبي!

إذا كنتُ قد قمت بخطأ، فها إني أموت بسببه.. لقد تركتني أنت أيضاً.. إني أسامحك. سامحني!

أسامحك لما فعلته معي.. ولكن كيف أستطيع أن أسامحك على ما فعلته بنفسك؟



لفترة من الوقت ساد الصمت بينهما، وبينما كان وجهاهما يتقابلان أجهشا بالبكاء.



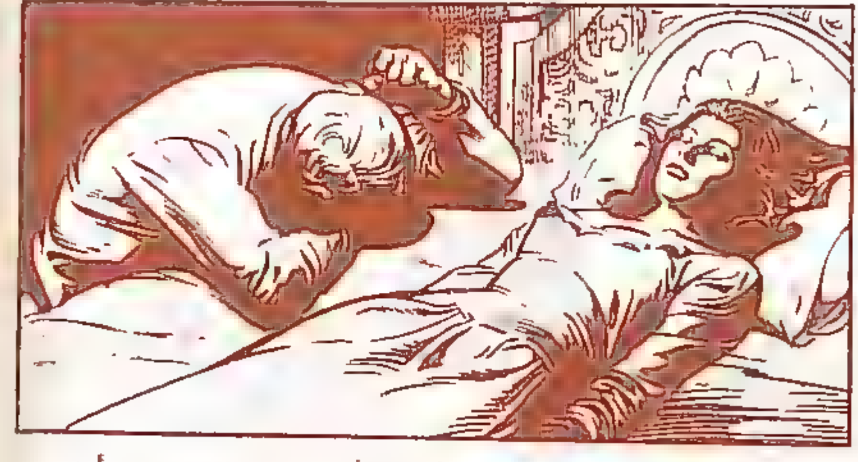


دَخَلَ إدغار، مكفهر الوجه من الصدمة والغضب. أما كاتي فقد أُغمي عليها وقام هيث كليف بوضعها بين ذراعي إدغار.

ساعدها أولاً.. بعدئذ تستطيع التكلم معي.

بينما كان الصباح يزحف إلى الغرفة، كان إدغار ينتحبُ قرب زوجته الشاب

نسي إدغار وسط همومه بأن هيث كليف كان ينتظر... وذلك عند حوالي منتصف الليل إن كاترين التي رأيتها في مرتفعات وذرنغ قد وُلدتْ يا سيد لوكوود.. بعد ساعتين من هذا الوقت ماتت الأم دون الإستيقاظ من إغمائها



انطلقتُ إلى الخارج.

أعرف لقد ماتت!

نعم.. ماتت بسلام وبابتسامة على وجهها.



بعد وقت قصير من انتهاء مراسم دفن كاترين، هربت إيزابيلا من وجه هيث كليف. وذهبت إلى لندن وفي وقت لاحق وضعت ولداً وبقيت هناك لمدة اثنتي عشرة سنة... الوقت الذي مات فيه سيدي العجوز هيندلي إيرن شو.

ذهبتُ إلى المرتفعات لأتحقق من أن عناية كاملة قد أعيرت لمراسم دفن هيندلي.. وجدتُ هناك هيرتون الصغير شرساً وقليل التهذيب.

الآن.. أيها الصبي.. إنك لي! سنرى إذا كان بالإمكان لشجرة ما بان تنمو معوجة كغيرها أمام ذات الريح العاصفة.

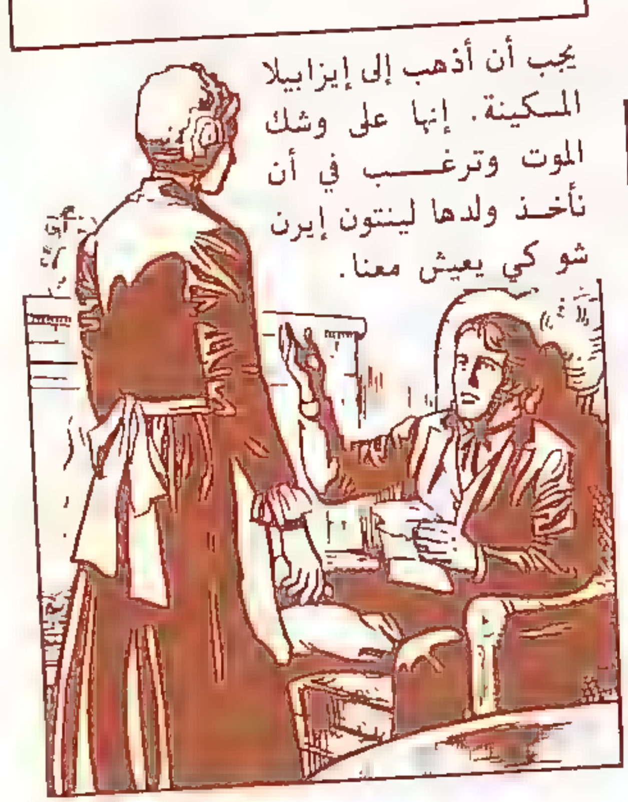
لقد مات هيندلي وهو مثقل بالديون وإن هيث كليف هو الآن سيد مرتفعات وذرنغ. هيرتون يعيش الان في منزله الخاص كخادم.

كبرَتْ كاترينَ الطفلة وأصبحت فتاة شابة جميلة.. وحتى بلوغها الثالثة عشرة من العمر لم تكن تغادر « ثراشكروس غرانج » إلا نادراً.

كم سيطول الوقت حتى أستطيع الصعود إلى قمة تلك التلال؟

عندما تكبرين عمراً وجسماً يا آنسة كاتي.

عندما وصلت رسالة للسيد.



سعدت كاتي بوجود ابن عم لها تلعب وإياه.. ولكن الصبي المسكين لم يمكث أكثر من ليلة واحدة في « الغرانج » قبل أن يطلبه والده « هيث كليف »، وقبل إرساله إليه في مرتفعات وذرنغ .. أخذته أنا إلى هناك.

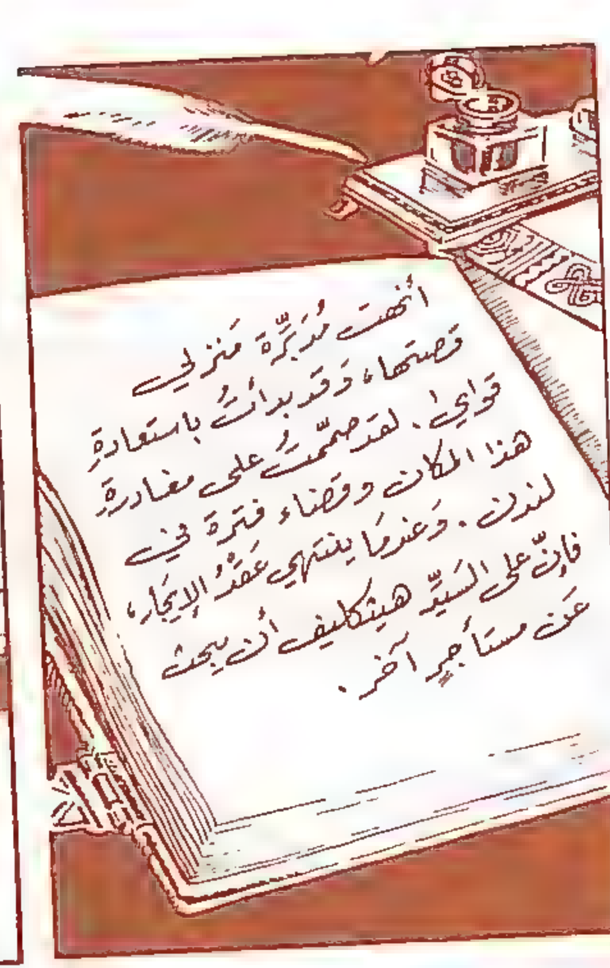


لم تقابل كاتي ابن عمها لينتون إيرن شو مرة ثانية إلا بعد أن أمضت سنتها السادسة عشرة... وسُمح لها بالذهاب في رحلة إلى البرية كمعاملة خاصة لها حيث قابلت هيث كليف.. بالرغم من كل التوسلات التي أبديتها، قمنا بزيارة المرتفعات معه.



كان ذلك على الأقل منذ سنتين يا سيدي، ولكن كل شيء تغيَّر. هيث كليف خدع كاتي لتتزوج من لينتون إيرن شو.

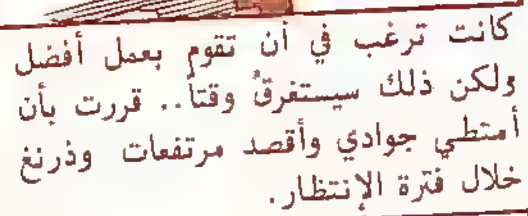




ولكن في شهر أيلول (سبتمبر) بينما كنت أمرُّ على مقربة من هناك قررت أن أمضي الليل في « ثراشكروس غرانج ».

هل السيدة دين في الداخل؟

السيدة دين؟ لا! إنها تسكن هناك على المرتفع!



كانت ترغب في أن تقوم بعمل أفضل ولكن ذلك سيستغرقُ وقتاً.. قررت بأن أمتطي جوادي وأقصد مرتفعات وذرنغ خلال فترة الإنتظار.





كانت الأبواب والنوافذ مفتوحة. كان بإمكاني مشاهدة شخصين في الداخل.



مشيتُ نحو الباب الخلفي. شاهدت صديقتي العجوز نيللي دين جالسة.

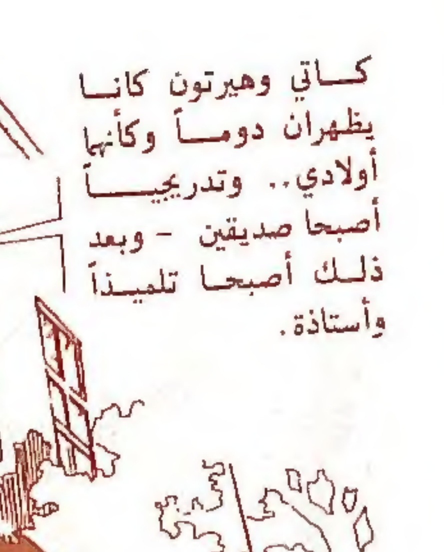


زيلا تركت.. والسيد هيث كليف طلب مني بأن أحضر بعد ذهابك إلى لندن. ربما لم تسمع بموت هيث كليف؟





كاتي وهيرتون كانا يظهران دوماً وكأنهما أولادي.. وتدريجياً أصبحا صديقين - وبعد ذلك أصبحا تلميذاً وأستاذة.



ومع تعلُّم هيرتون.. ومع تطور طبيعته - أصبحَ من الصعب علي أن أعتقد بأنه ما زال الشخص نفسه الذي نعرفه!





سيتزوجان بعد وقت قصير. ومن المقرر أن يكون ذلك يوم رأس السنة عندما نعود إلى «ثراشكروس غرانج» وعندئذ لن تكون أية امرأة في انكلترا أسعد مني!

بعد أن أخبرتني نللي عن النهاية السعيدة لهذه القصة الغريبة، عادت إلى وصف موت هيث كليف.

بالنسبة إلى هيث كليف: لم يعد يأكل بعد موت حبيبته

احتفظي به لي يا نللي.
سأتناوله في وقت لاحق

ظَهَرَ بأنه منفعل – مسرور – كأنه يرى شخصاً غير موجود.



استدعيت الطبيب، ولكن هيث كليف لم يره... أمطرت السماء بغزارة تلك الليلة. في صباح اليوم التالي قمت بالمسيرة العادية حول المنزل.



كان هناك على فراشه... ظهر بأنه يبتسم.. لم أستطع أن أفكر بأنه مات.



دُفِنَ كما كان يشتهي.. لم يكن حاضراً سوى هيرتون وأنا، وراعي الكنيسة، وستة رجال لحمل التابوت...



كل هذا سمعته من السيدة دين. عند عودتي إلى المنزل مررت بباحة الكنيسة... وسرعان ما وجدت علامات القبور الثلاثة التي أبحثُ عنها.



أسئلة للاختبار

١ - سمّ أبطال القصة ودور كل واحد منهم.
٢ - من هو الذي أخبرنا قصة كاترين وهيث كليف؟
٣ - كيف استقى معلوماته عما حدث؟
٤ - ما هو الحدث الغريب الذي حصل في بداية القصة وكان أساساً لمجريات القصة؟
٥ - كيف دخل هيث كليف في حياة عائلة إيرن شو؟
٦ - كيف عامله السيد إيرن شو؟ - هيندلي؟ كاتي؟
٧ - كيف عرف هيث كليف بقرار كاتي زواجها من إدغار لينتون؟ وماذا كانت ردة فعله؟
٨ - كيف تمكنت إيزابيلا لينتون من الزواج بهيث كليف؟ لماذا تعتقد بأن هيث كليف تزوجها؟
٩ - بعد موت كاتي انتقلت ملكية مرتفعات وذرنغ إلى هيث كليف.. كيف حصل هذا؟
١٠ - لينتون إيرن شو ابن هيث كليف وكاترين لينتون ابنة كاتي تزوجا بعد ذلك.. من كان صاحب فكرة هذا الزواج؟ ماذا حدث للينتون؟ ماذا حدث لكاترين؟
١١ - كيف مات هيث كليف؟ هل تعتقد بأن لكاتي يداً في ذلك؟

سلسلة أروع القصص المصورة

صدر منها:

- دراكولا
- نداء الطبيعة
- دكتور جايكل ومستر هايد
- الجمال الأسود
- الفنلندي من هاكليبري
- موبي ديك
- شارة الشجاعة الحمراء
- فرانكشتاين
- جزيرة الكنز
- توم سوير
- آلة الزمن
- ٢٠ ألف عقدة تحت البحر
- مغامرات شارلوك هولمز
- رحلات جوليفر
- أحدب نوتردام
- الرجل الخفي
- رحلة إلى جوف الأرض
- المخطوف
- الجزيرة الغامضة
- الشارة القرمزية
- قصة حياتي
- قصة مدينتين
- الفرسان الثلاثة
- حرب العوالم
- حول العالم في ثمانين يوماً
- القادة الشجعان
- يانكي في بلاط الملك أرثر
- كلب باسكرفيل
- البيت ذو السقوف السبعة
- جين اير
- نهاية الموهيكانز
- المختار من / او. هنري
- المختار من / ادجار ألن بو
- سنتان أمام الصاري
- المخلب الأبيض
- مرتفعات ويذرنغ
- بن هور
- أنشودة عيد الميلاد
- طعام الآلهة
- آيفانهو
- الرجل ذو القناع الحديدي
- الأمير والفقير
- سجين زندا
- عودة المواطن
- روبنسون كروزو
- الزهرة القرمزية
- ذئب البحر
- عائلة روبنسون السويسرية

المسيرة
بيروت

